

مُبْتَدَرٌ

لِلْأَمَامِ يَسِيرُ الْعَاشِقُ بَيْنَمَا يَتَخَلَّفُ قَلْبُهُ عَنْهُ، فَالْقَلْبُ أَشَدُّ
أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ تَحْنَانًا لِلْمَاضِي، وَأَكْثَرُهَا حَيْنًا لِلرُّجُوعِ إِلَيْهِ، فَإِنْ
سَارَ مَعَ صَاحِبِهِ التَّفَتَّ فَأَطَالَ الْإِلْتِفَاتِ، تَحَوَّلَ بِنَبْضَاتِهِ الرَّعْنَاءِ
إِلَى عُنُقٍ مُلْتَفَتٍ إِلَى الْمَاضِي الْمُنْقِضِي، إِلَى الْفَائِتِ الْفَاتِنِ، يَغْدُو
عُنُقًا طَوِيلًا مُمْتَدًّا فِي مَسَارِ الْأَمْسِ، إِنَّهُ يَسِيرُ فِي الْجَاهِ
عَكْسِيٍّ، فَالْقُلُوبُ دَائِمَةٌ الْإِنْجَذَابِ لِلوَرَاءِ، كَثِيرَةُ الْإِلْتِفَاتِ نَحْوَهُ،
وَإِنْ بَدَتْ نَبْضَاتُهَا سَيْرًا لِلْأَمَامِ إِمَّا هِيَ رُجُوعٌ حَقِيقِيٌّ لِلْخَلْفِ،
فَهَقْرِيٌّ سِرِّيَّةً، تَسْرُبُ إِلَى الْأَمْسِ، إِنْسِلَالٌ إِلَى الْمَاضِي الْآسِرِ
الْأَثِيرِ.

أَلَا تُصَدِّقُونَ أَنَّ الْقُلُوبَ تَلْتَفَتُ بِأَعْنَاقِهَا، بِنَبْضِهَا الْمُدْعُورِ
الْمَيَمَّرِدِّ، بِأَشْوَاقِهَا الْجَامِحَةِ، أَمْ يَقُولُ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ:

وَتَلَفَّتْ عَيْنِي فَمَذْ خَفَيْتُ عَنِّي الطُّلُوبُ تَلَفَّتَ الْقَلْبُ

أَلَمْ يَقُلْ شَوْقِي:

وَبَجَانِي وَاهٍ كَأَنَّ حُفُوقَهُ لَمَّا تَلَفَّتْ جَهَشَةُ الْمُتَبَاكِي.

وَهَذَا الْقَلْبُ، قَلْبِي، مُلْتَفِتٌ أَبَدًا كَقَلْبَيْهِمَا، كَقُلُوبِ كُلِّ الْعَاشِقِينَ.

يَا اللَّهُ! كَيْفَ عِشْتُ كُلَّ هَذَا الْعَمْرِ بِقَلْبٍ مُلْتَفِتٍ..؟!
أَمْضِي مُلْتَفِتًا إِلَى حَيْثُمَا يَنْظُرُ قَلْبِي، فِي قَهْقَرَةِ الْخُطَوَاتِ وَالنَّبْضِ
وَالذِّكْرِيَّاتِ..! أَعْنِي يَمْضِي مُلْتَفِتًا إِلَى كُلِّ أَمْسٍ أَحْبَبْتُهُ، إِلَى كُلِّ
مَنْ وَمَا أَحْبَبْتُ فِي أَمْسٍ. فَمُنْذَاكَ؛ مُنْذُ طُفُولَةِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ،
مُنْذُ التَّفَاتِي الْأُولَى، وَأَنَا أَخْوَضُ فِي مَسِيرِ النِّفَاتِ دَائِمًا، أَظَلُّ
مُلْتَفِتًا أَبَدًا بِقَلْبِي وَذَاكِرْتِي؛ فَالطُّفُولَةُ تَلْوِي قَلْبِي نَحْوَهَا، وَالْوَطَنُ
يَسْتَحْوِذُ عَلَى كُلِّ لَفْتَةٍ مُدْهَشَةٍ إِلَيْهِ، كُلِّ اسْتِدَارَةٍ نَحْوِ الْجَمَالِ
بِالْقَلْبِ أَوْ بِالرُّوحِ، بِالْعُمُرِ كُلِّهِ، كَمَا يُلْفِتُ الرَّبِيعُ قَلْبِي إِلَيْهِ،
وَيُؤَدِّرُ الْجَمَالَ قَلْبِي نَاحِيَّتَهُ، وَيُؤَارِبُ الْحُسْنَ قَلْبِي بُجَاهَهُ، عَلَى
عَالَمِهِ الْبَهِيِّ الطَّلِيِّ الشَّدِيِّ، يَضْبُطُ قَلْبِي نَبْضَاتِهِ عَلَى تَوْقِيَّتِ
الْجَمَالِ الْعَالَمِيِّ، يَنْبُضُ بِنَبْضِهِ، فَلَا يَتَأَخَّرُ وَلَا يَتَقَدَّمُ، فَأَمْضِي

مُلْتَفِتًا إِلَى كُلِّ مَعَانِي الْجَمَالِ فِي مَعَانِيهِ الْكَثِيرَةِ الْأَثِيرَةِ؛ فَأَنَا أَسِيرُ
بِقَلْبٍ مُتَلَفَّتٍ - أَبَدًا - نَحْوَ مَعَانِي الْجَمَالِ، وَمَعَانِي الْحُسْنِ،
أَبَدًا مُسَعَّرٌ لَهْفَهُ لِلْحُبِّ، أَمْضِي بِعَيْنَيْنِ مَرْهُونَتَيْنِ لِلْهَوَى..
هُنَاكَ تَجِدُونِي، هُنَاكَ أَجِدُ قَلْبِي، مُلْتَفِتًا إِلَيْكُمْ، إِلَى كُلِّ جَمِيلٍ
يَرَاهُ، إِلَى كُلِّ حُسْنٍ سِيرَاهُ، إِلَى أَيِّ بَهَاءٍ مِنْ الْمُحْتَمَلِ أَنْ
يَرَاهُ...!!

